المحاضرة السابعة :التجديد الشعري المهجري

1)تمهيد :

هاجرت جماعات من العرب ،و بخاصة من سوريا و لبنان في القرن التاسع عشر و القرن العشرين إلى العالم الجديد ،و أقاموا في كندا و الولايات المتحدة و في دول أمريكا الجنوبية ،و من بينها البرازيل و الأرجنتين و الشيلي و فنزويلا ،و نقلوا اللغة العربية و الأدب العربي إلى تلك المهاجر البعيدة ،فأنشأ أولئك المهاجرون في تلك الديار النائية أدبا يعبّرون به عن مشاعرهم و عواطفهم ،و يتحدثون فيه عن غربتهم و حنينهم إلى أوطانهم ،و يصفون فيه البلاد التي أقاموا فيها،و مظاهرالحضارة السائدة في حياة الناس هناك كما يصفون فيه حياتهم ،و ما تعرضوا لهمن عناء و شقاء،و تجارب مريرة مثيرة و كان أدبهم هذا هو الأدب المهجري الذي أصبح مدرسة أدبية كبيرة بين مدارس الأدب الحديث و مذاهبه و عني به الأدباء و النقاد .

2)عوامل هجرة الأدباء إلى المهجر :

أ-**العامل السياسي** :كانت سوريا و لبنان خاضعتين في القرن ال19للحكم العثماني و ضاق الناس ذرعا بظلم و اضطهاد بعض الولاة ،فآثر الكثيرون و خاصة المسيحيون أن يتّجهوا صوب العالم الجديد طلبا للحرية و فرارا من الظلم و الطغيان السياسي .

يقول إيليا أبو ماضي يخاطب وطنه لبنان :

لبنان لا تعذل بنيك إذا هم ركبوا إلى العلياء كل سفين

لم يهجروك ملالة لكنهم خلقوا لصيد اللؤلؤ المكنون

لما ولدتهم نسورا حلّقوا لا يقنعون من العلا بالدون

و النسر لا يرضى السجون و غن تكن ذهبا فكيف محابس من طين

ب- العامل الاقتصادي :حيث انتشر الفقر و الشقاء في سوريا و لبنان أنذاك ،و أهملت الزراعة و الصناعة و شتى مرافق الحياة ،فأصبح الجوع و الحرمان هما مصير الكثير من السكان ،لذلك أقبل الناس على الهجرة إلى أرض العالم الجديد يطلبون الحياة الكريمة و الغنى و الثراء .

ج-و ثالثها بواعث تاريخية قديمة :حيث إن السوري و اللبناني مولعان منذ القديم بالهجرة و حب السعي في الأرض والاغتراب و ركوب البحار و حياة العمل و التجارة ،و هما من سلالة الفينيقيين القدماء الذين ركبوا البحار و جابوا البلاد و اشتغلوا بالتجارة ،و أنشأوا لهم المستعمرات على شاطئ البحر الأبيض المتوسط في شمال إفريقيا .

د-و يضاف إلى هذه العوامل الثلاثة عامل آخر هو **سهولة الهجرة** إلى هذه البلاد النائية ،فلم يكن هناك قيود على الهجرة و المهاجرين إليها ،و ليس هناك في قوانينها ما يقيد حرية المهاجر في اختيار العمل الذي يريده و في شق طريق الحياة بالوسائل التي يختارها.

و أول مهاجر عربي هو **أنطون البشعلاني** اللبناني الذي هاجر إلى أمريكا الشمالية ،و أقام في نيويورك عام 1854 و مات فيها .

ثم تبعه أفواج من المهاجرين من سوريا و لبنان و فلسطين ،و كان بعض المهاجرين من الأدباء فأخذوا يعبرون عن مشاعرهم بالشعر أو بالنثر .

و قد تكاثر عدد المهاجرين بعد الثورة العرابية ،حيث سافروا إلى كندا و الولايات المتحدة و إلى البرازيل و شيلي و الأرجنتين و غيرها من دول أمريكا .

ومن أوائل الشعراء الذين هاجروا إلى أمريكا الشاعر **ندرة حداد** (1881-1950)، و قد وصل إلى نيويورك عام 1897 ،ثم كان من أعلام شعراء الرابطة القلمية فيما بعد ،و تبعه **رشيد أيوب** الشاعر الذي هاجر إلى نيويورك عام 1898،و لقب بشاعر الدموع و الشاعر الباكي و هاجر بعد هؤلاء **نسيب عريضة** الذي اغترب و عاش في أمريكا عام 1905 و

توفي بها عام 1946،و في هذه الديار ترعرع أبو الأدب المهجري أمين الريحاني (1876-1940) الذي ألّف الكثير من المؤلفات في التاريخ ،و منها كتابة ملوك العرب ،و تاريخ الثورة الفرنسية ،و من كتبه في الأدب :الريحانيات و الشعر المنثور كما ترعرع فيها كذلك عميد أدباء المهجر جبران خليل جبران (1883-1931)،و عميد الرابطة القلمية في أمريكا ثم هاجر عبد المسيح حداد و ميخائيل نعيمة و غيرهما ،و لقد بدأت قوافل المغتربين إلى أمريكا الشمالية و الجنوبية تتوالى منذ عام 1865.

3)نشأة الأدب المهجري :

نقل المهاجرون من العالم العربي الآداب العربية إلى المهجر الأمريكية في الشمال و الجنوب ،فنقلوا معهم لغتهم و ثقافتها و تراثها و آدابها ،و الأديب العربي الذي فارق وطنه و عاش في العالم الجديد لم يتخلّ عن موهبته ،فبعدما استراح المهجريون من أعباء السفر و مشقة الهجرة و استقروا في حياتهم الجديدة بعض الاستقرار ،بدأوا يكتبون الأدب و ينشئون النثر و ينظمون الشعر ،وأخذت تظهر بوادر الحياة الأدبية العربية بين المهاجرين ،و ساعد على ظهورها حاجة المغترب إلى التنفس عن نفسه بإطلاق الحرية لموهبته الأدبية ،و إحساسه بالحنين الجارف إلى وطنه و مسارح ذكرياته ،و مواطن أهله و أحبابه و أترابه ،و الحنين الى الوطن يثير الموهبة و يذكي العواطف و يثير الشاعرية .

و هذا الأدب العربي الذي كتب في المهجر هوالذي سمي **الأدب المهجري** ،و الذي صار مدرسة ضخمة من مدارس الآداب العربية المعاصرة .

و يطلق الدكتور محمد مندور على الأدب المهجري لقّب الأدب المهموس ،لأنه تقع في النفس موقع الأسرار التي يتهامس بها الناس ،و كلمة الهمس في رأيه هي إحساس بالأدب المصنوع من الحياة كأنه قطعة منها .

4)المؤثرات في ظهور الأدب المهجري :

تأثر الأدباءالمهجريون بالمدارس الشعرية الجديدة في العالم العربي منها :

أ–مدرسة الكلاسيكية الجديدة ممثلة في شعر شوقي و حافظ و الرصافي و الزّاوي.

ب–مدرسة خليل مطران التجديدية الإبداعية في الشعر الحديث و اتّجاهها رومانسي و هي مدرسة تتحرر من قيود التقاليد الأدبية و اللغوية و ترى الشعر تعبيرا عن ذات الشاعر .

ج–مدرسة شعراء الديوان :شكري و المازني و العقاد و اتجاهها أيضا رومانسي و قد قدّم العقاد لكتاب ميخائيل نعيمة و اتّجاهها أيضا رومانسي ،و قد قدّم العقاد لكتاب ميخائيل نعيمة الغربال و وافقه في دعوته إلى التجديد .

د–مدرسة شعراء أبولو التي قامت عام 1932 و من غير ريب وجدت صلات فنية و فكرية بين هذه المدرسة و بين شعراء المهجر و حين هاجر الشاعر أحمد زكي أبوشادي عام 1946 يمّم وجهه شطر نيويورك حيث فحول المهجريين و روادهم .

هـ–هذا إلى جانب تأثرهم بالحركات الفكرية و الأدبية في سوريا و لبنان ،و بالأدب الغربي و بخاصة الانجليزي و الأمريكي و الإسباني ،و تأثروا بأفكاره و أخيلته و موضوعاته ،و طعّموا أدبهم و شعرهم بموسيقى جديدة و بفلسفة ذاتية استمدّوها من تجاربهم و حياتهم و روحهم ،يقول أبو ماضي في قصيدته (في القفر):

سئمت نفسي الحياة مع النا س و ملت حتى من الأحباب

و تمشيت فيها الملالة حتى ضجرت من طعامهم و الشراب

و من الكذب لابسا بردة الص دق و هـذا مسـربلا بالكـذّاب

و من القبح في نقاب جميل و مـن الحسن تحت ألف نقـاب

5)الجماعات الأدبية العربية في المهجر :

أنشأ المهاجرون العرب مدارس لتعليم أبنائهم ،و جمعيات دينية و خيرية ،و قد أنشأ كذلك جمعيات أدبية كان لبعضها من الشهرة و الذيوع ،و الأثر الأدبي ما خلّد اسمها في حياتنا الأدبية المعاصرة ،و من أشهرها نذكر ما يلي :

أ-الرابطة القلمية :أنشأت الرابطة القلمية في نيويورك في 30أفريل 1920،وكان الذي تأسيسها الأديب المهجري الكبير عبد المسيح حداد (1890-1963) صاحب جريدة السائح المشهورة ،و مؤلف كتاب حكايات المهجر ،و قد تولى جبران خليل جبران رئاسة الرابطة القلمية ،و كان نعيمة مستشارها ،و كانت الرابطة القلمية تصور مجموعة أدبية دورية باسمها ،و كان من أعلامها :نسيب عريضة ،و نعيمة الحاج ،و أسعد رستم ،و إيليا أبوماضي ،و رشيد أيوب ،و ندرة حداد ،و نعيمة أيوب ،عبد المسيح الحداد ،....و قد انضم إليها لاحقا الشاعر المصري الكبير أحمد زكي أبو شادي بعد هجرته إلى نيويورك عام 1946.

ب-العصبة الأندلسية : تأسست عام 1932 في أمريكا الجنوبية (ساوباولو بالبرازيل)،و هي أميل إلى المحافظة الشعر القديم ودعم الصّلات بين الشعر الجديد و الجديد ،أسسها **ميشيل معلوف** ،و أصدر مجلة باسمها و تولى رئاستها ثم خلفه الشاعر القروي ،و كانت العصبة الأندلسية مكوّنة من ميشال معلوف رئيسا ،و داود شور نائبا للرّئيس ،و نظير زيتون أمينا للسّر، و من أبرز أعضائها :جورج حسون معلوف ،نصر سمعان ،حسني غراب ،حبيب مسعود ،شكر الله الجر ،الشاعر القروي و أخوه الشاعر المدني قيصر ،إلياس فرحات ،

و قد ظهر من مجلة العصبة الأندلسية ثمانون عددا في سبع سنوات ،ثم أغلقت المجلة بعدما صدر قانون برازيلي يمنع الصحف بلغات أجنبية ،و لكن العصبة استمرّت.

قد فسّر حبيب مسعود معنى تسمية العصبة بالأندلسية فقال :" إنه التّيمن بالتراث الغالي الذي تركه العرب في الأندلس ،و الإشارة إلى الابتعاد عن التّطرف الذي اتّسمت به الرابطة القلمية ".

ج- كما تأسست جماعات أخرى في المهجر الشمالي و لكنها كانت أقل تأثيرا من الرابطة القلمية ،و العصبة الأندلسية ،كما أنها لم تدم طويلا ،و معظمها زال بوفاة مؤسسها و منها :

رابطة منيرفا : التي أسسها الشاعر المصر أحمد زكي أبو شادي عام 1948 و انتهت بوفاته ،وكذلك **الرابطة الأدبية** التي أنشأها جورج صيدح في عاصمة الأرجنتين عام 1949 ثم اختفت بعد عامين ،و جامعة **القلم** بساو باولو.

6) خصائص أدب المهجر

أ) من حيث المضمون :

-**النزعة الإنسانية**:و هي النظرة إلى المجتمع كله نظرة حب و رحمة ،و رغبة في أن يعم الخير الجميع ،و أن تنتشر المبادئ السامية .

نلمح في أشعارهم الدعوة إلى إيجاد مجتمع أفضل تسوده القيم و المثل العليا و الرغبة في تهذيب نوازع النفس الشريرة .

-**الحنين إلى الوطن** :شعر المهجريون بالغربة عن وطنهم الأم ،فكان أن ظهر الحنين في أشعارهم ،و تألموا كثيرا لما يصيبه من كوارث.

-**النزعة التأملية** :اتّجه أدباء المهجر إلى دواخل أنفسهم يتأملون فيها فرارا من صخب الحياة التي تحيط بهم من كل جانب ،كما تأملوا في جمال الطبيعة و شخّصوها كالكائن الحي.

-**الحزن** : تشيع ظاهرة الحزن في الشعر المهجري ،و لعل سببها طول الأيام و إحساس المهاجر إحساسا حادا بالزمن .

-**الاخوانيات** :شاعت ظاهرة الاخوانيات في شعر أدباء المهجر و ذلك لأنهم غرباء هناك حتى تتوطّد العلاقة بينهم ،نجد ظاهرة الاخوانيات في التهنئة بمولود أو نجاح في عمل و غيرها .

ب)من حيث الشكل و الأداء :

-**الوحدة العضوية** : يعني بها وحدة الموضوع و وحدة الجو النفسي ،و ترتيب الأفكار و الصور ترتيبا متماسكا .

-**التعبير عن تجربة شعورية ذاتية** : يعبر الشاعر المهجري عن تجاربه التي يكون قد عاشها و أثّرت فيه ،و يظهر عمق التعبير عن التجارب الشعورية الذاتية عندما يمزج الشاعر مشاعره مع الطبيعة و يتحدث عنها.

-**الرمز** : بحيث يتجه الشاعر من الأمور الحسية رموزا لأشياء خفية ،يرمز إليها دون التصريح بذلك ،و من أمثلة ذلك في الأدب المهجري (قصيدة التينة الحمقاء)لإيليا أبي ماضي ،التي ترمز للإنسان الذي يبخل بفعل الخير في المجتمع فيكون أحمقا لا يقدم دورا إيجابيا في هذه الحياة .

-**التحرر من الوزن و القافية** : تحرر المهجريون من قيود الوزن و القافية ،فنظموا شعر التفعيلة و اتّبعوا نظام المقطوعات .

– استخدام الشكل القصصي :يظهر ذلك في كثير من قصائد المهجريين و منها قصيدة التينة الحمقاء و الحجر الصغير لإيليا ابي ماضي .ما يساعد على تحليل الجانب الشعوري و العاطفة الانسانية .

-كما ظهر عندهم شعر الموشحات و الأزجال ،و خلقوا الحوار في أشعارهم و بعثوا فيها الحياة من جديد.

-ظهور الملاحم مثل ملحمة (على بساط الريح)لفوزي معلوف.

-الشعر عندهم همس و موسيقى حية نابضة و معاني دافقة جميلة تحرك مشاعر الإنسان .

7)نصوص و تطبيقات :

يقول الشاعر إيليا أبو ماضي في قصيدة التينة الحمقاء :

وتينةٍ غضة الأفنان باسقةٍ قالت لأترابها والصيف يحتضرُ

بئس القضاء الذي في الأرض أوجدني عندي الجمال وغيري عنده النظرُ

لأحبسن على نفسي عوارفها فلا يبين لها في غيرها أثرُ

لذي الجناح وذي الأظفار بي وطر وليس في العيش لي فيما أرى وطر

إني مفصلة ظلي على جسدي فلا يكون به طول ولا قصر

ولست مثمرة إلا على ثقةٍ أن ليس يطرقني طير ولا بشر

عاد الربيع إلى الدنيا بموكبه فازينت واكتست بالسندس الشجر

وظلت التينة الحمقاء عاريةً كأنها وتد في الأرض أو حجر

ولم يطق صاحب البستان رؤيتها فاجتثها فهوت في النار تستعر

من ليس يسخو بما تسخو الحياة به فإنه أحمق بالحرص ينتحر

الأسئلة:

ـ فسّر رمزية كل من *التينة* و*الفلاح* في ضوء الاتجاه الرمزي في شعر إيليا أبو ماضي.

ـ هل ترمز التينة إلى فرد أم إلى ظاهرة اجتماعية؟ ناقش بإسناد إلى النص.

ـاختر صورتين بيانيتين من القصيدة، وناقش قيمتهما الإيحائية، وارتباطهما بفكرة القصيدة (العطاء مقابل الأنانية).

ـ حلّل أثر الوزن والقافية في تعزيز الطابع القصصيّ للقصيدة.